كلمة عضو المجمع الدكتور عبد النّاصر عسّاف
في استقبال المجمعيِّ الجديد الدكتور محمَد قاسم [1]

أيُّها السّادةُ والسّيداتُ:

رئيسَ المجمعِ الأستاذُ الدّكتور محمود السيّد،

الزُّملاءُ أعضاءَ المجمع، الضّيُوفُ والحُضورُ الكرام:

السّلام عليكم ورحمةُ اللهِ وبركاتُه:

كانَتْ خِدمةُ اللُّغةِ العربيّةِ بفُنونها وعلومها المتنوّعةِ أساسًا رئيسيًّا منَ الأُسس الّتي قام عليها هذا المجمع، وقد سعى جاهدًا لتحقيقِهِ، وتحقيقِ كلِّ ما يُفضي إلَيهِ ويُسهِمُ في تحقيقِه. ولذلك كان أكثرُ أعضاء المجمع في مراحلِهِ المختلِفةِ منَ المختصّينَ باللُّغة العربيّة وعلومها. وقد كانَ منَ الواجبِ كما رأتْ إدارةُ المجمعِ بعد ما خلا مَكانُ بعضِ أعضاءِ المجمعِ الرّاحلينَ منَ المختصّينَ باللُّغة العربيّة منذ سنواتٍ قليلةٍ خَلَتْ = أن يملأَ أماكنَهُمُ الشّاغرةَ أعضاءٌ جُدُدٌ منَ المختصّينَ باللُّغة العربية الأكفِياءِ، ولا سيّما منَ المختصّينَ بالنّحو والصّرف، فكان من رأيِ بعضِ أهل العلم والخبرة والرّأيِ في المجمع ترشيحُ الدكتور محمّد قاسم ليكونَ عُضوًا عاملًا في المجمع؛ لما عَرَفَهُ فيه وقدَّرَهُ، فكانَ ذلك، وكان انتخابُه وتَعيينُه. وها نحن اليومَ هنا نجتمعُ لاستقبالِهِ، نُعرِّفُ بهِ ونرحِّبُ.

فمَنْ هو الدّكتور محمّد قاسم؟

وُلِدَ الدّكتور محمّد قاسم في بُصرى الشّام من أعمال محافظة درعا عام ١٩٧٥. وانضمَّ إلى قسمِ اللُّغة العربيّة في كليّة الآداب بجامعة دمشق عام ١٩٩٤م، وكان في دِراستِهِ مُتفوّقًا يُشارُ إليهِ بالبَنانِ، فنالَ لذلك جائزةَ الباسلِ للتَّفوُّقِ الدّراسيّ في أعوام ١٩٩٤و١٩٩٥و١٩٩٦، وحصلَ على الإجازة في اللُّغة العربيّة عام ١٩٩٧ بتقدير امتيازٍ، ونالَ جائزةَ الباسلِ للخرّيجِ الأوّلِ على الدّفعةِ. ثُمّ حصَلَ على دبلوم الدّراساتِ العليا –الشُّعبة اللُّغويّة عام ١٩٩٨م بتقدير امتيازٍ. وعُيّنَ لتفوُّقِهِ مُعيدًا في النّحو والصّرف في قسم اللُّغة العربيّة في كليّة الآداب عام ٢٠٠١م. وفي عام ٢٠٠٢م حَصَلَ على الماجستير في علوم اللُّغة العربيّة وآدابها بتقدير امتياز،

---

[1] ألقى الدكتور عبد النّاصر عسّاف عضو المجمع هذه الكلمةَ في حفل استقبال زميله الجديد الدكتور محمّد قاسم في المجمع يوم الأربعاء: ٢٠٢٤/٢/٢٨م.

وقد تناوَل في رسالته للماجستير قِسمًا من تفسير (البحر المحيط) لأبي حيّانَ الأندلُسيّ بالتّحقيقِ والدّراسةِ. ثُمَّ حصَلَ على درجة الدّكتوراه في النّحو والصّرف عام ٢٠٠٥ بمرتبة الشّرَفِ من جامعةِ دِمشقَ. وكان موضوعُ رسالَتِهِ للدُّكتوراه (الأُصولُ النّحويّة والصّرفيّة في كتاب الحُجَّة لأبي عليٍّ الفارسيّ)، وقد طُبِعَتْ عام ٢٠٠٨ في مجلّدينِ. وقد كانت رسالتُهُ مثالًا متميّزًا في الاستِقراء والجمع والتّصنيف والاستدلال والمحاكمة والتّحليل والاستِنباط واللُّغة والأُسلوب والتّوثيق، إلى غير ذلك ممّا ينبغي أن يكون في الرّسالة العلميّة المتكاملة.

وقد كان ذلك مَدخلًا أدّى بالدّكتور محمّد قاسم إلى عالَمٍ واسِعٍ فَسيحٍ كانَتْ له فيه جَوْلاتٌ ومَناشِطُ ومُشاركةٌ وحُضورٌ. ومن ذلك:

- **التّدريس الجامعيّ:**

الدكتور محمّد قاسم مُدرّسُ النّحو والصّرفِ في قسم اللغة العربية، في كلّيّة الآداب، في جامعة دمشق، منذ سنة ٢٠٠٦م، ودرَّسَ بعضَ المقرّراتِ الأخرى في كليةِ الآدابِ الثّالثة في السّويداء في وقت سابقٍ. وقد كان في تدريسِ النَّحو والصّرف، وما يزالُ، ولا سيّما في الجانبِ التّطبيقيّ، ذا حُضورٍ مُتميّزٍ، يَشُدُّ الطُّلَّابَ بأُسلُوبِهِ ولُغَتِهِ وعِلمِهِ وطُرَفِهِ، فإذا بالطّلاب يتحلّقون حولَه، ويَكثُرونَ كَثرةً ظاهرةً حيثُ يُحاضِرُ، وكان ذلك أَظهَرَ ما كانَ قبلَ الأحداث، وقبل أنْ تَستبِدَّ بالنّاس همومٌ وهمومٌ بعضُها فوق بعضٍ، أَكرَهَتِ الطُّلَّابَ على التّخلّي عنِ الحُضور والدّوام والمتابَعة.

وكانْتَ له مُشاركةٌ في الإشراف على بعض طُلَّاب الماجستير في قسم اللُّغة العربيّةِ نفسِهِ، ومناقشة بعض رسائلِ الماجستير والدكتوراه، مُشاركةٌ تُخبِرُكَ بما له من عِلمٍ واقتدارٍ وحرصٍ على نُصْحِ الطُّلَّاب وتوجيهِهِم التّوجيهَ العلميَّ الصّحيحَ.

وقدِ اقتضى التّدريسُ أن تكون له مُشاركةٌ في الكتاب الجامعيّ، فكان شريكًا في تأليف كتابَينِ في قسم اللُّغة العربيّةِ طُبعا خمسَ طَبَعاتٍ، وما زالا مُعتمَدَينِ:

الأوّلُ: النّحو وتاريخُه. وهو كتابٌ تناوَلَ خمسًا وعشرينَ أداةً نَحْوِيَّةً، وشيئًا من تاريخ النّحو العربيّ، وأصولِه، وشيئًا عن بعضِ أعلامِه ومذاهِبِه.

الثّاني: النّحو ومسائلُه. وهو كتابٌ تناوَل إحدى وثلاثين أداةً نحويَّةً، وعشرينَ مسألةً من مسائلِ الخلاف بينَ النُّحاةِ.

وكان من ثمارِه كتابُ (التَّذكَرةُ في علوم العربيّة) الّذي طُبِعَ سبع طَبَعاتٍ. وهو كتاب يقع في سِفْرَينِ ضَمَّ الزّميلُ فيهما عَشراتٍ من عيونِ النُّصوصِ الشّعريةِ المختارةِ من مصادر التُّراثِ العربيّ، مُعربةً مشفوعَةً بالفوائد والتّعليقاتِ. وقد كان ذلك مادّةَ الدُّروسِ الّتي ألقاها المؤلِّفُ على طَلَبةِ السّنة الأولى في قسم اللُّغة العربيّة بجامعة دمشق.

وقد كانَ الاهتمامُ بالطَّلَبةِ والنّاشئة، والتّأليفِ لهم، وتَزويدِهم بالزّاد اللّغويّ المناسب حاضرًا في ذهنِهِ مذ كان طالبًا؛ فقد عُنِيَ عام ٢٠٠٠م بالمعجم المدرسيّ الّذي صنّفَه جرجي عطيّة (ت:١٣٦٥هـ=١٩٤٦م): (المعتَمَدُ فيما يَحتاجُ إليهِ المتأدِّبونَ من مَتْنِ اللُّغة العربيّة) على وجهِهِ إصلاحًا وضبطًا وتدقيقًا، وصدَر وقتئذٍ عن دار صادرٍ.

- **التّحقيق:**

للتَّحقيقِ في اهتمام الدكتور محمّد قاسم ونشاطِهِ الحِصَّةُ الكُبرى. وكان ذلك منهُ منذ كان في مرحلة الماجستيرِ؛ إذ جَعَلَ تحقيقَ قطعةٍ من تفسير (البحر المحيط) لأبي حيّانَ الأندلُسيّ موضوعًا لرسالَتِهِ لنَيلِ درجةِ الماجستير. ثمَّ كانَ ذلك في بعض الكُتُبِ الّتي نشَرَها، وهي:

- شَذا العَرْف في فنّ الصَّرْفِ، لأحمد الحَمَلاويّ، الّذي نُشِر عام ٢٠١٧.
- غُرَرُ الخصائصِ الواضِحة وعُرَرُ النّقائص الفاضِحة، لمحمّد بن إبراهيم الكُتبيّ المعروف بالوطواط، الّذي نُشِر عام ٢٠١٨، في سِفْرَينِ كبيرَينِ يَزيدانِ بالمقدّماتِ وعتَباتِ التّحقيق وفهارِسِ الكتاب على ألفٍ وخمسمئةِ صفْحةٍ.

والكتابُ من كُتُبِ الأدبِ العامّةِ، يَشتمِلُ على بدائعِ الحِكَمِ وروائعِ الأشعارِ، ونفائِسِ الأنثارِ، ونوادِرِ الأخبار، في مَدْحِ الفضائلِ، وذَمِّ الرّذائلِ.

- كتابا (الثُّقلاء) و(فضلُ الكلابِ على كثيرٍ ممّن لبسَ الثّياب)، وكلاهما لابن مَرزُبانَ الدّيمَرَتيّ (ت٣٠٩هـ)، وقد نُشرا معًا عام ٢٠١٩.

وهما من كُتُبِ الأدبِ العامّ والأخبارِ:

الأوّلُ يُنبئُ عُنوانُهُ عن موضوعِهِ، وعلى ذلك دارَتْ أكثرُ أخبارِهِ الرّابيةِ على مئةٍ وخمسينَ خبرًا. والثّاني يَتناولُ فَسادَ المودّةِ في زمانِ المصنِّف: في القرنِ الثّالِث وما يليه، وخسَّةَ الأخلاقِ، ولُؤْمَ الطّباعِ. وقد كانَ أوَّلَ خبرٍ فيهِ قولُ أبي ذرٍّ الغِفاريّ ﷺ: «كانَ النّاسُ ورقًا لا شَوكَ فيهِ، فصاروا شَوكًا لا وَرَقَ فيهِ».

وفي مُقدّمة الكتاب كما في سائر الكُتُبِ الّتي حقّقها ما يَدُلُّكَ على حبِّ المحقِّقِ الآسرِ للُّغة، وأنّ تحقيقَ هذينِ الكتابينِ ونحوِهما من حَقِّ العربيّةِ عليه.

قال: «النّفسُ ظَمأَى، والحوضُ ملآنُ، وحُبُّ العربيّة آسِرٌ غَلّابٌ، ولكنَّ الشّرطَ الإنسانيَّ القاسيَ يأبى إلّا أن يَرعَفَ القلمُ بالزّلَلِ:

تَحِنُّ إلى أجبالِ مكّةَ ناقتي ومن دونها أبوابُ صنعاءَ مؤصَدَهْ»

– يتيمةُ الدّهرِ في محاسنِ أهل العصر، للثّعالبيّ، الّذي نُشِر مَطلَعَ هذا العامِ في عَشَرَةِ أسفارٍ. و(تتمّةُ اليتيمةِ) الّذي استَدرَكَ فيه الثّعالبيُّ أشياءَ ممّا فاتَه في (يتيمة الدّهر)، حقَّقَهُ الدكتور محمّد قاسم في مجلّدين، وهو في قيد الطّباعة.

وتحقيقُ الدكتور محمّد قاسم لهذه الكُتُبِ قام على مَنهجٍ عِلميٍّ يَعتمدُ على إجراءاتٍ معيّنةٍ دقيقةٍ، تستدعي الصّبرَ والجُهدَ والبَحثَ والاستقراءَ والأَناةَ، وتُفضي إلى إقامة النّصِّ على وجهِهِ بتقسيمِهِ التقسيمَ المناسِبَ أداءً لمعانيهِ، وضَبْطِهِ الضّبطَ التّامَّ، وتَبرئتِهِ منَ التّصحيف والتّحريف والسَّقَطِ وسائرِ الأوهامِ، وتَخريجِ الشّواهدِ والآراءِ والأقوالِ من مَظانّها، والتَّعليقِ على ما يَحتاجُ إلى تعليقٍ تَعقيبًا وتصحيحًا واستِدراكًا، أو شرحًا وتَبيينًا، أو تقييدًا للفُروق؛ وفَهرسةِ النَّصِّ أو ما يحتاج منه إلى فَهرسةٍ، ودِراسةِ النّصِّ ومُؤلِّفِهِ الدّراسةَ المناسبةَ.

وإذا كان الدكتور محمّد قاسم قد حَقَّقَ الكُتُبَ المذكورةَ التّحقيقَ العلميَّ اللّائقَ فإنَّ تحقيقَ (يتيمةِ الدّهر) يُعَدُّ بالنسبة إلى تحقيق الكُتُبِ الأخرى آيةً في التّحقيقِ، إقامةً للنّصِّ على وَجْهِهِ مَصونًا من أَوجُهِ الزّلَلِ، وتخريجًا لمادّتِهِ وشواهِدِهِ، وتعليقًا؛ فضلًا عن فهرسة مادّتِهِ، ودراستِه الدّراسةَ الوافيةَ.

وآيةُ ذلك أنّ تحقيقَ هذا الكتاب قدِ استَرَقَ من عُمُر المحقِّقِ أربعةَ أحوالٍ وبِضْعةَ أيّامٍ، وأنّ فهارسَ الكتابِ الّتي زادَتْ على خمسةٍ وعشرين فِهرسًا ضَمَّها السِّفْرانِ التّاسعُ والعاشِرُ.

ومنَ الفهارسِ المفيدَةِ، وكُلُّها مُفيدٌ، فِهرسُ اللُّغةِ الّذي أنبَهَ فيه المحقِّقُ على فَوَائِتِ المعاجم ممّا كان في (اليتيمة). ولذلك كنْتَ تراهُ أحيانًا يَسوقُ شَرْحَ الكلمة أوِ التّركيبِ بعبارةٍ غير جازمةٍ: «يُشبِهُ أن يكونَ، كأنَّهُ».

ومن ذلك: المستخرِجُ: جابي الضّرائِبِ المكلَّفُ جِبايةَ المتأخِّرَ عنها. والرّكابيُّ: ساعي البريدِ،

أو حاملُ الرّسائلِ. والخِلاطُ: سَمْنٌ خليطٌ فيه شَحْمٌ ولحمٌ، كأنَّهُ القَورَمةُ. وشَمْسة: شَمسيَّةٌ، مِظَلَّةٌ، وضَرْبٌ مِنَ الحَلْيِ في شَكْلِ الشّمسِ. وطِلِّيرٌ: صَوتُ النّايِ.

هذا، فضلًا عنِ الدّراسةِ الضّافيَةِ الّتي استقلّ بها السِّفْرُ الأوّلُ.

وفي هذا السّفْرِ ما يَدُلُّكَ على جملةٍ منَ الآدابِ والضّوابطِ، أو بعضِ الصُّوَى الّتي ينبغي أن تكونَ في المحقّقِ أو الباحثِ في التُّراثِ العربيّ عامَّةً، أو يجبُ أن يَستهدِيَ بها.

ومن ذلك مثلًا أنّ الدكتور محمّد قاسم عَقَدَ مَبحثًا في تلك الدّراسةِ في سِهامِ الثّعالبيّ – أي: سَهَواتِه– في اليتيمة، قدّمَ بينَ يدَيهِ بما يَعتذِرُ له فيه عمّا سَها فيه بقولِ سعيدِ بنِ المسيّبِ: «ليسَ من عالمٍ ولا شريفٍ ولا ذي فَضْلٍ إلّا وفيه عَيبٌ، ولكن منَ النّاسِ مَن لا ينبغي أن تُذكَرَ عُيوبُهُ، ومَنْ كان فَضْلُهُ أكبرَ من نَقْصِهِ ذهَبَ نَقْصُهُ لفَضْلِهِ».

ثُمَّ قالَ: «وليسَ يُذكَرُ ما زلَّتْ فيه قَدَمُهُ أمامَ ما قَرْطَسَهُ وأصابَ فيهِ شاكِلَةَ الصّوابِ، وقد نَهَضَ بجَمْعِ تُراثِ الأمّةِ الأَدبيّ في المئةِ الرّابعةِ وحدَهُ، وهو عَملٌ ضخْمٌ تَنوءُ به عُصبةٌ من حُذّاقِ الرُّواةِ وحمَلَةِ الشّعرِ ومُدوّنيهِ، وقد قالوا: لولا ظُلْمَةُ الخطأِ ما أَشرَقَ نُورُ الصّوابِ».

حتّى إذا فرَغَ من سَرْدِ أمثلةٍ من سَهْوِ المصنّفِ قال: «هذه أمثلةٌ من سَهْوِ أبي منصورٍ لا تَقدَحُ فيه، ولا تَغُضُّ من قيمةِ العمل الجليل الّذي نَهض به وَحْدَهُ، وأسدى يدًا إلى هذه الأمّةِ بتدوين تراثِها الزّاخر في القَرْنِ الرّابعِ الهجريّ، ولولاه لضاعَ كثيرٌ منهُ، ولا سيّما أدبُ خراسانَ وما وراءَ النّهرِ؛ إذ توشِكُ أن تكونَ اليتيمةُ مَصدَرَهُ اليتيمَ. وأرجو ألّا أكونَ جانَبْتُ الصّوابَ فيما قيّدتُهُ، وألّا أكونَ ممّن أخذَتْهُ شَهوةُ الصِّيالِ والمغالبَةِ والتّربُّصِ الّتي غَرِيَ بها غيرُ قليلٍ منَ النّاسِ حتّى صارَ نَبْشُ القُبورِ والتّمثيلُ بمَنْ فيها فنًّا يُقصَدُ، ومذهبًا يُعتقَدُ».

•الكتابة والتأليف:

للدّكتور محمّد قاسم يدٌ في كتابةِ الأبحاث والمقالات والدّراساتِ الّتي نشرَ بعضَها في الموسوعة العربيّة، وبعضَها في بعض المجلّاتِ المحكّمةِ وغيرِ المحكّمة، وألقى بعضَها في بعض المناسباتِ والنَّدَوَاتِ والمناشِطِ الثّقافيّة. وقد جَمَعَ بعضَها في كتابٍ عُنوانُه (بحوثٌ في اللُّغة والأدب والرّجال) صَدَرَ عنِ الهيئة العامّة السّوريّة للكتاب عام ٢٠١٩م.

وللرّميل الدّكتور محمّد قاسم مشاركةٌ في التأليف لليافعين، فقد صدَرَ له كُتيّبانِ في منشورات الطّفل في الهيئة العامّة للكتاب، في وزارة الثّقافة، في سلسلة الكتاب الشّهريّ:

أوّلُهما: الدّكتور مَسعود بوبو: قَبَسٌ منَ العلم والتّواضعِ والرّحمة، عام ٢٠١٦.
والآخر: سعيدٌ الأفغانيُّ: عالم العربيّة وحارسُها النّابهُ، عام ٢٠٢٠.

عرَّفَ في كُلٍّ منهما بالعَلَم المقصود، وبسيرتِه العلميّةِ، ومؤلّفاتِه؛ وذكَرَ مختاراتٍ من آثارِهِ، وساق في الأوّل مقتطفاتٍ مما قيل في رثاء الأستاذ الدكتور مسعود بوبو، وفي الثّاني شهادةً ممّن عرَفَ الأستاذَ الأفغانيَّ وخالَطَهُ تُنوّهُ بِهِ وتُثني علَيهِ.

وقدِ ارتبَطَ الدكتور محمّد قاسم بالدكتور مسعود بصُحبةٍ دامَتْ عامَينِ في هيئة الموسوعة العربيّة، إذ عُيِّنَ فيها سنة ١٩٩٨م محرِّرًا مُدَّةَ سنتينِ حَرَّرَ فيها زُهاءَ ثلاثينَ مَدخَلًا من مداخلِ (الموسوعة العربيّة)؛ فجَعلَتْهُ تلكَ الصُّحبةُ وذلِكَ القُربُ يُلقي على حديثِهِ عنِ الدكتور مسعود فيضًا منَ مشاعرِ المحبِّ الودودِ، فقال فيهِ: «كان مسعود بوبو إنسانًا بسيطًا، جُبِلَ منَ الرّحمةِ وحُبِّ النّاسِ، والإحسانِ إليهِم؛ وله نَباهةٌ في التِماسِ أَوجاعِ الفقراءِ مِمّن يلتقي بهم في شؤونِ الدّنيا. كان –رحمَهُ اللهُ– يُنزِّهُ نفسَهُ عن صغائرِ الأُمورِ، ويَبذُلُ الحُبَّ لمن يعمل معَهُ بأقلِّ ما يكونُ منَ الكلام، وبكثيرٍ منَ الفعلِ الصّامت...الإحسانُ إلى النّاسِ صَنْعَتُهُ، والتّواضُعُ سَجِيّتُهُ، والحُبُّ دَخيلَتُهُ، والخيرُ فِطْرَتُهُ،...».

•المراجعة والتّدقيق:

ومن مناشطِ الزَّميلِ النَّشيطِ الدّكتور محمَّد قاسم مُراجعةُ بعضِ الكُتُبِ، وتدقيقُها تدقيقًا شاملًا، أو تدقيقًا لغويًّا فقط، والتقديمُ لبعضها. وممّا كان له يدٌ من ذلك فيه:

- المجموعة النّاصية، من شروح ألفيّة ابن مالكٍ، أربعة مجلّدات، عام ٢٠١٤.
- غرائب الغرب، لمحمَّد كرد عليّ، تقديم ومراجعة، عام٢٠٢٢م.
- مقرّرات السّنةِ التحضيريّة للكلّيّات الطّبّيّةِ.

•إدارة مديرية إحياء التُّراث:

كان للدكتور محمّد قاسم تَجرِبةٌ مُفيدةٌ في الإدارةِ الثّقافيّةِ، إذ أُسنِدَ إليهِ إدارةُ مُديريّةِ إحياء التُّراث العربيّ في الهيئةِ العامّةِ السّوريّة للكتاب مُدّةَ سبعِ سنواتٍ (٢٠١٧/٢/١-٢٠٢٣/٢/١)، أدارَ فيها المديريّةَ باقتِدارٍ ودِرايةٍ، وحَرَصَ على تحقيق ما يُمكِنُ من أهدافها، بهمَّةٍ ونشاطٍ. وكان من ثمرةِ هذه التّجربةِ إصدارُ سِلْسلتينِ منَ الكُتَيّباتِ كانَ يَرأَسُ تحريرَهُما: الأولى: سِلسلة (قضايا لُغويّة)، الّتي صدَرَ فيها أكثرُ من خمسينَ كُتَيِّبًا، فيها ما كان مُتميّزًا

ومُفيدًا حقًّا في الموضوعِ، أو في الرُّؤيةِ والتّناوُلِ.

الثّانيةُ: سِلسلة (ثمرات العقول)، الّتي صدر منها أكثرُ من عِشرينَ كُتيّبًا.

وكان من ثمرة هذه التَّجربةِ الإداريّةِ الثّقافيةِ إصدارُ مجلة (المخطوط العربيّ)، بتوجيهٍ وعِنايةٍ منَ السّيّدةِ وزيرةِ الثّقافةِ الدّكتورة لُبانة مشوّح؛ وهي مجلّةٌ نِصفُ سنويّةٍ تُعنى بالتُّراث العربيّ ومخطوطاتِه وتحقيقِها، وقد تولّى رِئاسةَ تحريرها الدكتور محمّد قاسم حتّى الآن. وهي مجلّةٌ علميَّةٌ جيّدةٌ، بعضُ ما يُنشَرُ فيها يرقى إلى مستوى الأبحاث والدّراسات المحكّمةِ الّتي تَنشُرُها بعضُ المجلّاتِ العلميّةِ العاليةِ.

وكان من ثمرة التحاقِ الدكتور محمّد قاسم بالهيئة العامَّةِ للكتاب مَندوبًا نَدْبًا جُزئيّا من قسم اللُّغةِ العربيّة في هذه السّنواتِ السَّبعِ أن أَصبحَ عُضوًا في هيئةِ تحرير مجلةِ (التّراث الشّعبيّ)، وعُضوًا في اللَّجْنةِ الوَطنيّة العُليا لحمايةِ التُّراثِ غيرِ المادّيّ.

وكان من وِصالِ هذه المرحلةِ أن فازَ الدّكتور محمّد قاسم بجائزةِ الدّولةِ التّشجيعيّةِ الّتي تتولّاها وزارةُ الثّقافةِ السُّوريّةِ في مجالِ الدِّراساتِ التُّراثيّةِ سنةَ ٢٠١٨م.

• وإلى ذلك إذا خالَطْتَ الدّكتور محمّد قاسم بعضَ المخالطةِ بدا لكَ مِثالَ مَنْ يَتسقَّطُ أخبارَ كتبِ التُّراثِ العربيّ الّتي تُنشَرُ في أنحاءِ العالم، ويَحتفِي بها احتفاءً، ويَسعى للحُصولِ عليها، واقتنائها ما أَمكَنَ، فالكتابُ التُّراثيُّ حبيبٌ إليه أيُّ حبيبٍ، وبدا لك أيضًا حافِظًا لأشياءَ منَ كُنوزِ التُّراثِ: من أشعارٍ وأنثارٍ: أمثالٍ وحِكَمٍ ونَوادرَ وأخبارٍ.

• ثمّ إلى هذا وذاك تجدُ في لُغةِ الدكتورِ محمّد قاسم منَ الفخامةِ والجزالةِ والإحكام ما لا يَخفَى على السّامِعِ والقارِئِ؛ حتّى كأنّها أَثارةٌ من أجيالٍ مَضَتْ وأَزمانٍ تَولَّتْ؛ ويخالُطها أحيانًا شيءٌ أثيرٌ من ماءِ الأَدبِ ورِوائه، ولا سيّما في العَتَبات الّتي يُصدِّر بها الكُتُبَ المحقَّقةَ أو بعضَ الكتُبِ المؤلَّفةِ.

وهذا مِثالٌ يَسيرٌ وَرَدَ في إهداء كتابِ (غُرَر الخصائص) الّذي أهداهُ الدّكتور محمّد إلى أخيه المهندس الهُمام أبي عبد الملك بلال:

«إلى الجبلِ الأشمّ الباذخِ الّذي يَأْوِي إليه مُعتصمًا به الفُقراءُ والضُّعفاءُ والمنكَسِرةُ قُلُوبُهم وعِيالُ الله. إلى أبرِّ مَنْ عَرَفْتُ مِنَ الرّجالِ وأَحناهُم وأَسخاهُم، يَقطِفُ الموتَ بيدٍ، ويَزرَعُ بالأُخرى رَحيقَ الوِلادَةِ والحُبِّ. إلى الجبّارِ الهادِرِ مَلاذِ اليتامى عِصْمةِ الأراملِ، تَسكُنُ إليهِ

الطّيرُ، ويَتهلَّلُ له النّجمُ في السّماءِ غِبْطةً بسِحْرِهِ ووَرَعِهِ. إليك يا عشيرَ الرّوحِ وشَريكَ النّفس...إلخ».

وممّا وَقَعَ في تقديمِهِ للكتابِ يَتحدَّثُ عنِ الزَّمانِ الّذي حَقّقَهُ فيه: «في زمانٍ أتَتِ الحربُ الغَشُومُ الضَّارِيَةُ على قِيَمِهِ، واغتالَتْ خَلقًا من أهلِهِ، وبَعثَرَتْ نُفوسَ مَنْ بَقِيَ حيًّا منهم، وأَنَّ لأولئكَ المبعثَرِينَ أن تَرتَدَّ إلَيهم عُقولُهُمُ الّتي هي أداةُ العلم ووِعاؤُهُ، وقُلُوبُهُمُ الّتي تَضُخُّ ماءَ الحياةِ فيهم؟. كان ما كان على وِفاق ما جرى به القَلَمُ، وجَفَّتْ به الصُّحُفُ، والمغبونُ من بَقِيَ بعد طاعونِ الحرب، والسّعيدُ مَنِ ارتَدَّ إليهِ صَوابُهُ، وتَحرَّكَ قَلمُهُ، فراح يَزرَعُ الأَرضَ الموات وأَمَلٌ يُورِقُ فوقَ أصابِعِهِ أنَّ الآتيَ أجملُ».

أيّها السّادةُ والسّيّدات:

لا شكَّ أنَّ كلَّ ما كانَ دالٌّ على أنّ الدّكتور محمّد قاسم من أهلِ الأَدبِ والتُّراثِ واللُّغة والعِلْمِ، وأنّهُ على عَلاقةِ حُبٍّ وطيدةٍ بذلك، وكلُّ ذلك ممّا يَحسُنُ فيمن يَكونُ في هذا المجمع؛ فأهلًا به فينا، زميلًا بيننا، وواحدًا منّا، ومرحبًا به في بيتٍ آخرَ أحببناهُ لهُ، ونُحبُّ أن يَجدَ فيه ما يُحبُّهُ ويَتطلَّعُ إليهِ، ولنا أَمَلٌ كبيرٌ في أن يَرفِدَ المجمعَ بما ينبغي، وأن يُعينَنا فيما نحتاجُ إليه لأداءِ رسالةِ هذا المجمع على الوَجْهِ المروم. ووَفّقَ اللهُ الجميعَ لما فيه خِدْمةُ لُغتِنا العربيّةِ. والحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ أوَّلًا وآخرا. وشكرًا لكم.

الدكتور عبد النّاصر إسماعيل عسّاف